

٦- الاهتمام بالخدمات العامة كأنارة الشوارع، وفتح المدارس والمستشفيات*.

٧- محمد علي باشا بين صراع القوى الداخلية وتكوين الدولة الحديثة

١/ عهد التحوّلات:-

يعُد عهد محمد علي باشا في مصر عهد تحولات كبيرة ليس في التكوين السياسي والإقليمي فحسب، وإنما الاقتصادي والاجتماعي، وتتأثر به الوطن العربي تأثيراً كبيراً وعليه، فقد عده أغلب المؤرخين والمدارسين العرب والاجانب «مؤسس مصر الحديثة» على الرغم من الاختلاف في وجهات النظر حول تقويم سياسته الداخلية، وتطلعاته وعملياته الخارجية.. وعلينا أن نوضح على درجة من التفصيل والدقة عملياته الواسعة في سبيل بناء الدولة وتحديث المجتمع ضمن سلسلة من الاجراءات والتطبيقات التي أنجزها في ميادين شتى، والتي قبضت على البنية المملوكية القديمة وتبعاتها، وأصابت في تركيب بنية مصرية جديدة لا تزال نتائجها فعالة وعملية في مختلف مفاصل المجتمع المصري بقدر أو بأخر حتى يومنا هذا وعلى امتداد القرنين التاسع عشر والعشرين.

أ- انحسار القوى السياسية:

غادر الفرنسيون أرض مصر بعد احتلالهم الذي دام ثلاث سنوات، ووُجدت مصر نفسها تواجه ثلاثة قوى سياسية مؤثرة، هي: القوات البريطانية والثمانية

* من الأهمية البالغة مراجعة كتابات ثلاثة مؤرخين قدماه تحدثوا عن تجربة نابليون في مصر وهم. عبد الرحمن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار في الترجم والأخبار»، وحيدر الشهابي في كتابه «الغرر الحسان» ونيقولا الترك الذي خصّص كتابه «ذكر تملك جمهور» عن الحملة الفرنسية على مصر. انظر:

Pierre Giffard, *Les Francais en Egypte*, Paris, 1883.

- د. محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة ١٩٤٩.

- احمد حافظ عوض، فتح مصر الحديث او نابليون بونابرت في مصر، القاهرة، ١٩٢٥.

والملوكيّة التي احتلت مصر بعد الفرنسيّين. وبدأت بالنهب التجاري، والاجبار على دفع الضرائب التي بلغت أربعة أضعاف الضرائب السابقة.. قتلوا وذبحوا واغتصبوا، واستولوا على البضائع والأموال وحمولات السفن، وأهملت الزراعة، وكان التدمير قد وصل إلى أعلى درجاته.

وكان هناك صراع بين العثمانيين والبريطانيين حول سيطرة كلٍّ منهما على مصر الملوكيّة، وقد رأى السلطان سليم الثالث ١٧٨٩ - ١٨٠٧، الذي كان يرى أنَّ أهم وسيلة لتعزيز السياسة العثمانيّة في مصر إنما يتمثل بباباده الماليك. وقد نجحت بعض الحوادث التاريخيّة بين الاتراك والماليك في مدن عدّة.. وكان الماليك قد أحتجز عدد كبير منهم من قبل العثمانيين، وعندما هدد الانكليز بقصف القاهرة، اضطر العثمانيون إلى إطلاق سراح ٢٥٠٠ مملوك وتسليمهم للإنكليز الذين استقبلوهم وكرموهم وطلب قائد الأسطول العثماني بشكل مهين سحب الأسطول العثماني من مصر، وبرغم التهديدات البريطانيّة، فإن السيطرة البريطانيّة انتهت بصورة سريعة، وغادر الانكليز مصر بعد تنفيذ شروط معاهدة صلح إميان بين إنكلترا وفرنسا التي وقعت في ٢٧ / ٣ / ١٨٠٣. لقد غادر الانكليز مدينة الإسكندرية في شهر آذار عام ١٨٠٣م، ولكنهم لم يوقفوا خططهم التوسعيّة كما هو حال فرنسا التي خبرت شؤون الشرق، وبدأ كلٌّ من الإنكليز والفرنسيين بالتمهيد لتمثيل فصول تاريخية أخرى في الحركة الاستعماريّة التي ستكون في اعنف حالاتها خلال القرن التاسع عشر التي ستُقفل عند مطلع القرن العشرين ومع اندلاع الحرب العالميّة الأولى.

بـ- المُصارِع القديم:-

اما مصر فقد بدأ فيها صراع دمويٌّ بين العثمانيين والماليك للفترة الواقعَة بين ١٨٠٢ - ١٨٠٤م إثر مغادرة الإنكليز. وقد منيت القوات العثمانيّة بخسائر فادحة بعد تحالفات أجراها الماليك مع شيوخ البدو والنوببيين، فتمكنوا من سحق الاتراك، واستمرت الخلافات والتمرّدات، كما وتواصلت حالة التّخبُط العثماني، ففي خلال شهر واحد مارس الحكم ثلاثة باشوات على التوالي.. وتآلف الماليك مع وحدة من الالبانيين كانت منضمة إلى عداد الجيش العثماني، وهي وحدة عسكريّة من

المرتزة. وفي شهر أيار / مایس ١٨٠٣م، استولت القوات المملوکية -الالبانية المتألفة على القاهرة، وبدأ حكم سلطة ثلاثة تتكون من «بكين» مملوکين ومن قائد البانی اسمه محمد علي و كان شاباً في ريعان الشباب كي تبدأ صفحة جديدة لتاريخ مصر الحديث على يديه.

السؤال الآن. من محمد علي باشا؟

٢/ شخصية محمد علي باشا:-

ولد محمد علي عام ١٧٦٩م، في مدينة كافاله (قوله) باقليم مقدونيا، وتنطوي قصة حياته على أساطير وتناقضات، الا انه على ما يبدو، عاش طفولة يتيمة مترعرعاً في احضان اسرة غريبة، واشتغل في تجارة التبغ. وعندما بلغ الثلاثين من العمر التحق بكتيبة الالبانية، وأظهر في الجيش موهبة وشجاعة، فغدا قائدا للقوات الالبانية التي دخلت في عداد الجيوش العثمانية المرسلة الى مصر.. وفي مصر، رسم وخطط لكي يكون على رأسها في يوم من الايام فتحالف مع المماليك، معلنًا، معهم حرباً على الباشوات العثمانيين، فتمكن المماليك من فرض ارادتهم في مصر لأول مرة بعد عشرات السنين عاشوا خلالها جملة من التناقضات والانقسامات والصراعات الداخلية. وعليه فقد استعادوا سلطتهم وممتلكاتهم، فابعدوا الاتراك وبدأوا بنهب الشعب برئاسة عثمان البرديسي الذي وقف ضد الانكليز من خلال عمليتهم محمد الالفي الذي أبىده كتيبة العسكرية أمام المماليك، وهرب بنفسه الى الصحراء.

لقد انفجرت الثورة ضد المماليك من قبل ابناء الشعب المصري بطبقاتهم الاجتماعية المختلفة إثر تأثيرهم بالسياسة الجائرة التي اتبها الاقطاعيون المماليك. فانتهز مفجّرو الثورة تلك الانقسامات الموجودة داخل معسكر المماليك، وكان على رأسهم شيخوخ الازهر من رجال المسلمين، وجرى التخطيط بامتناع السكان عن دفعضرائب في وقت واحد وبدأوا بقتل الجباة، فدارت رحى حرب شوارع في مدينة القاهرة. وقد حاصر قصر زعيم المماليك عثمان البرديسي ودُمر في يوم ٤ آذار / مارس ١٨٠٤، وفر البرديسي من القاهرة.

كاد الامر يعصف بتحالف حلفاء الماليك في الامس القريب من الالبانين . وفي لحظة تاريخية من لحظات الثورة كان محمد علي بارعاً في اختيارها لكي ينحاز الى جانب الثوار بعد ادراكه تعااظم نفوذهم في الشوارع التي تؤدي جميعها الى مركز اشعاعهم من الجامع الازهر الذي وصله محمد علي لكي يلقي هناك خطابا في اجتماع كان يعقده الشيوخ الكبار، وقد وعدهم ببذل جهوده لاغاء الضرائب عن كاهل الجماهير المصرية . وان يكون حامياً للمصالح الشعبية المشتركة . موجّهاً كتابته الالبانية القوية لمحاربة الماليك .

كانت عملية مناورة بارعة، وربما كان هناك اتفاق سابق بين المشايخ الذين قادوا النضال السري، ثم الثورة العلنية، وبين محمد علي ضد الماليك .. فاختاره مجمع الشيوخ «قائمقاماً» اي : نائباً لباشا مصر . اما الباشا وهو منصب يقع في الصداره فقد اختير خورشيد باشا الحاكم العثماني في الاسكندرية لكي يمثله .

٣/ تنصيب محمد علي باشا :

حضرت قوى الماليك مدينة القاهرة بعد طردتهم منها، ومنعوا حركة الاتصالات معها، الا انها قاومت الحصار الذي استمر اكثر من اربعة اشهر، فتراجع الماليك منها بعد ان تنامت قوة محمد علي، وشاعت مواصفاته في قيادته الدفاع عن القاهرة، فعده الشعب زعيماً منقذًا له .. وقد أثار هذا كلّه السلطة المركزية في اسطنبول : كيف ان ضابطاً البانياً يرتفع مقامه بهذه السرعة، فوصل أمر ارجاعه الى وطنه، ولكن اثار ذلك التذمر عند مختلف الاوساط المصرية، وأعلن الاحتجاج بالاضرابات التي قام بها التجار والحرفيون والصناع، واعلن المشايخ عن الاستياء، وارسلت تنديدات بالقرار العثماني، فاضطر الباب العالي الى الغاء مرسومه .

لقد كانت الفرصة مؤاتية امام محمد علي لكي يرسخ اقدامه خلال شتاء عام ١٨٠٤-١٨٠٥ بملحقته على رأس قواته شرذم الماليك في الوجه القبلي، في حين بدأ خورشيد باشا يمارس سياسة قمع واضطهاد بمعونة انكشاريته، فرض الضرائب القاسية، واستأنفت حالات النهب والعنف وأخذ الرهائن، وظهرت صورة الانكشارية مشابهة جداً لصورة الماليك .. في حين كان الشعب بدأ

الاستقامة إثر الصدمة التي سببته الحملة بونابرت، والثورة على المماليك، فلم يكن مستعداً لتحمل إضطهاد الانكشارية له، فاندلعت انتفاضة شعبية جديدة في القاهرة في شهر أيار / مارس ١٨٠٥، فلورحت فلول الانكشارية واطيع بزعيمهم خورشيد باشا .. لكي ينادي مجمع الشيوخ بمحمد علي هذه المرة حاكما على مصر.

لقد تحدث في ذلك المجمع عمر مكرم داعياً إلى تعيين والي جديد، فاشار إلى محمد علي، وكتبت وثيقة بتاريخ ١٣ أيار / مارس ١٨٠٥ جاء فيها «تم الامر بعد المعاهدة والمعاقدة على سيره بالعدل، وإقامة الأحكام والشرائع وانه متى خالف الشروط عزلوه وأخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الآن». واضطر السلطان سليم الثالث أن يعترف بمحمد علي واليًا على مصر، لأنه كان مقتنعا بضعف جيش العثماني ليس على التوسيع بل عن الدفاع .. وعلى الرغم من محاولات عزل محمد علي، فإنه تراجع عن قراره ، وكان سليم الثالث قد أثبت خططاً تحديدية لتخلص الدولة والمجتمع والجيش من طابع القرون الوسطى، إلا أن نظامه الجديد باء بالفشل نتيجة الحركة التراجعية المضادة له، وفي عام ١٨٠٧ م أطاحت به الانكشارية ثم قتل بعد ذلك، لكي يغدو مثلاً تاريخياً بارزاً في تفكير محمد علي الزعيم الجديد لمصر عند مطلع القرن التاسع عشر.

٤/ الزعامة والتكون السياسي :

لقد استغل محمد علي المسرح السياسي المصري لصالح زعامته وسياسته معاً في حين بدأت تتفاعل عليه دسائس كل من الدولتين : بريطانيا وفرنسا ضد مصر، واستطاع محمد علي بذاته وحذكته استغلال الصراع الداخلي في البنية المملوكية، وقضى على زعيمي المماليك : محمد الالفي وعثمان البرديسي منقذاً المصريين منهمما، ثم طارد المماليك دون توقف .

كان من نتائج الحرب الفرنسية - الانكليزية انحياز الدولة العثمانية إلى جانب فرنسا، ورفضت إنذارات بريطانيا، ومطالبيها المتعددة.. ولما لم تفلح خطط انكلترا من اقتحام البوسفور وتدمير اسطنبول ، قرر الانكليز بالهجوم على مصر، فانزلوا في ٢٧ أذار / مارس ١٨٠٧ م قواتهم في الإسكندرية ، فخاض المصريون

نحت ظعامة محمد علي حربهم ضد المحتل، وسحقوا عدّة وحدات انكليزية، كانت تتقدّم نحو القاهرة التي بدأ اهاليها بتحصينها، ولما لم يكتب للانكليز النجاح في التقدّم نحوها انسحبوا بعد فشلهم في اثاره المماليك بتمنّه جديد .. رحّف محمد علي نحو الاسكندرية مما دعا قائد القوات البريطانية الى طلب الصلح، وفي شهر ايلول / سبتمبر ١٨٠٧م ركبّت القوات البريطانية الباخرة سفناً وغادرت السواحل المصرية، وعندما دخل محمد علي الاسكندرية صفتّ له الجماهير بحرارة، وعدّ بطلاً وطنياً زاد عن اراضي مصر ضد الاجانب.

هكذا، وجد محمد علي باشا ساحة مصر مفتوحة كلها امامه دون ان ينزله احد السلطة عليها، ولكنّه كان يخشى بقايا المماليك الذين سهل امامه مطاردتهم، واخيراً، نظم مذبحه القاهرة في شهر آذار / مارس ١٨١١، ثم مذبحه سينا بعد عام، فقضى عليهم قضاياً مبرّرّاً لم تقم لهم بعد ذلك قائمة، وبقي عدد قليل ينتشر في الفلوات فاراً نحو السودان، لقد قضى عليهم بعد ان استمرّ وجودهم في مصر فرونا طويلاً كانوا عليها من اسوء الحاكمين.

ولم يتخلّص محمد علي باشا من المماليك فحسب، بل استطاع يوماً بعد آخر من التخلص من نفوذ المشايخ وعلماء الدين ونقيب الاشراف بعد ان اكتشّفوا خذلانهم ونقاط ضعفهم في المجتمع والسلطة معاً، فاستطاع ان يبعدهم ويفرّقهم واحداً بعد الآخر

بدأ محمد علي باشا يعمّل على ترسين كيانه السياسي بعد انفراده بالسلطة، و«انفسه»، القوى الخارجية في البحر، وابعاده شبع المماليك ونفوذ المشايخ وزعماء الشعب في البر، وكان على راسهم عمر مكرم الذي نفاه الى دمياط، ولم يبق الا الجنود اللبنانيون الذين تخلّص منهم ايضاً بعد ان وجدتهم يميلون نحو السلطان، وثنان عدو اولئك الجنود قليلاً، ولم يعد اخضاعهم للانضباط العثماني، اعده اسْتَهْر عهد محمد علي باشا اكثر من اربعين سنة استطاع خلاله ان يغير ترتيب امن واقع مصر المليوني العثماني، الذي تأخذ دورها السياسي في الحياة

الدولية والإقليمي في الحياة العثمانية، والعسكري في الحياة العربية** .. فكيف تم ذلك؟ لنتوقف قليلاً عند تفاصيل تلك التجارب التاريخية :

٣- التوسيع المصري في الأراضي العربية والصراع الدولي :

مقدمة :

كان محمد علي باشا والي مصر، كثير من الأهداف السياسية من وراء بنائه لجيش مصرى كبير، وأسطول بحري ضخم، وقد أعلن مراراً عن رغباته الجامحة في التوسيع والامتداد، وكانت اقواله وتصريحات (ولده) إبراهيم باشا تعلن بصرامة عن خط معتقداتهما بخصوص وضع اليد على الأراضي السورية، وعساكرة الجيوش المصرية عند ضفاف نهرى دجلة والفرات. وكان يجد في الروابط التاريخية، والعوامل الجغرافية صورة مركزية لمصر ضمن اتجاهات متعددة، أكسبتها مزايا استراتيجية واقتصادية في مطلع القرن التاسع عشر.

لقد خاض جيش محمد علي باشا حروباً متواصلة في البر والبحر، واستطاع أن يسيطر على أجزاء شاسعة من المشرق العربي: بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، فضلاً عن السودان الجنوبي، والميونان وجزرها، وأجزاء من الاناضول. وعلى الرغم من تطلعاته للوصول إلى المغرب العربي، إلا أنه لم يخضع للارادة الفرنسية بكسب جولة أو مغامرة من نوع آخر على أراضي تونس أو الجزائر.. مكتفياً بأخذ واحة سيوه، ناهيك عن أن محمد علي باشا لم يفكر باحتلال طرابلس الغرب برغم قربها منه وسهولة تنفيذ ذلك عسكرياً.

*: لقد كتب الكثير عن محمد علي باشا وتاريخه، لا بدّ من الاشارة إلى ابرز الاعمال العلمية:
ـ د. محمد فؤاد شكري، الحملة الفرنسية وظهور محمد علي (القاهرة، د. ت) وكتابه الآخر بناء دولة مصر محمد علي، مصر ١٩٤٨ ، وانظر د. محمد شفيق غربال، عصر محمد علي، القاهرة، ١٩٥٤ . أيضًا : احمد صادق سعد ، تاريخ العرب الاجتماعي : تحول التكوين المصري من النمط الآسيوي إلى النمط الرأسمالي، بيروت، ١٩٨١ ، وانظر بالفرنسية :

Mohammad Sabry, L'Empire égyptien sous Mohammad- Ali et la question d'Orient , 1811-1848, Paris: Geuthner , 1930.

اختلفت الاسباب التاريخية والعوامل المباشرة وغير المباشرة في توسيعاته
وامتداد جيوبه في المنطقة العربية والبحر المتوسط. وقد تدخلت الدول الاوروبية
التي، ضد فعاليات الحربية ومخامراته الجريئة. وسنوضح ادنى تفاصيل
التطورات العسكرية لجيوبه وتوسيعاته في البيئات العربية خلال النصف الاول
من القرن العなし عشر

١ / الجزيرة العربية: المرحلة الاولى

ثانت عملياته العسكرية في شبه الجزيرة العربية هي اول حرب خارجية
يخوضها جيشه ضد الوهابيين الذين كانوا قد بدأوا بتنفيذ مشروعيهم الخطير
ضد الدولة العثمانية، ونالوا من السيادة الاقليمية للسلطنة اثر مصاہرتهم
السبعينية مع السعوديين (كمما سيتوضّح ذلك في الفصل السابق). وقد ، ذ
السلطانان سليم الثالث، و محمد الثاني الدولة الوهابية الفتية من ابرز التهديدات
لحكمة العثمانيين، ولما عجز ولاية بغداد والموصل ودمشق العثمانيون عن مواجهة
الوهابيين الذين بدأوا بهاجمة القوافل والمدن على حوافي الصحاري العراقية
السورية، وقد قام بتصديها باشوات بغداد ودمشق دون قيامهم بهجمات مضادة
ولما لم يكن باستطاعة العثمانيين تشكيل جيش قوي لسحق الوهابيين، والقضاء
على حرثتهم المتفاهم خطراها على المدن والمراکز الاقتصادية ولما نجم عن
المشتقات الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية ، فقد عمد
محمد المهمة سنة ١٨١١م الى محمد باشا والي مصر، وهو التابع القوي للسلطان
محمد الثاني، فسار على محمد علي باشا بتنفيذ هذا الاقتراح، والعمل على تنفيذه
بمثل سرور لا سيما وفدت مصر قد تضررت اقتصادياً نتيجة توقف اعمال

المح

+ ان محمد علي باشا يهدف للسيطرة على التجارة، والاستيلاء على خollo ط
الموارد الاتية لقواته، وعادت الجزيرة العربية مفتاحاً استراتيجياً للتقدم
 نحو العراق وبلاد الشام تحسب محمد علي باشا ولده احمد موسون بك قائداً عاماً
 للمجاهدين، و+ ان يبلغ من العدد (٦٦) سنة، وبلغ عدد الجيش بين (٨) الى (١٠) الاف

مقاتل. وكان طوسون بيك يستعين بمستشاره احمد اغا الملقب بـ «بونابرت» الذي كان من خيرة جنرالات محمد علي باشا. انطلقت الحملة المصرية في شهر رمضان / ايلول ١٨١١ م بـ رأس بحرا. وفي شهر تشرين الاول / اكتوبر ١٨١١ م، احتل المصريون ميناء ينبع الذي اتخذ قاعدة هجوم وثبات عملياتهم الحربية الواسعة ضد الوهابيين، فتكبدوا خسائر فادحة لاسباب الحر والجوع والعطش وسريان الامراض المعدية، وفقد المئات بصرهم من لهيب شمس الصحراء، وقتل العطش مئات آخرين، فضلاً عن الرمال المتحركة، والطبيعة القاسية، والناس الذين لا يرحمون، ممثلين في القبائل البدوية التي تهاجم القوات المصرية ، وقوافل المؤونة من الخلف .

كان الوهابيون يعُدون بالآلاف، إذ يتفوقون عددياً على المصريين الذين كانوا يمتلكون اسلحة حديثة ومدفعية صائبة، وقادة مدربين، فاتسغرت هذه المغامرة القاسية زمناً طويلاً، وكان النصر سجالاً. وفي شهر كانون الثاني / يناير ١٨١٢ م، اتجه الجيش المصري نحو المدينة، فهوجم هجوماً مباغتاً ، فانهزم شر هزيمة وهلك (٥) ألف مصري من اصل (٨) ألف. وعاد الباقيون الى مركز عملياتهم في ينبع، وحاول المصريون بث روح الشفاق عند الوهابيين، فاستمالوا بعض شيوخ القبائل البدوية الى جانبهم في حين وصلت اليهم نجدات مصرية جديدة وفي شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٨١٢ م، استحوذ الجيش المصري على المدينة المنورة .. ثم استولى في شهر كانون الثاني / يناير ١٨١٣ م على مكة المكرمة ومدينتي الطائف وجدة، وهكذا، وقع اقليم الحجاز باليديهم، لكنهم لم يستقبلوا بالترحاب والمحبة من قبل السكان الحجازيين الذين كانوا يكيدون للقوات المصرية كيداً كبيراً. وكانت هذه العمليات العسكرية قد اكسبت تلك القوات مهارات متنوعة، وخبرات في التوسيع البري وتحت وطأة ظروف طبيعية قاسية .. وانفتح الطريق امام محمد علي باشا لاختراق شبه الجزيرة العربية بعد سيطرة قواته المصرية على اقليم الحجاز.

- محمد علي باشا يقود جيشه بنفسه ١٨١٣ - ١٨١٥

وصل محمد علي باشا على رأس قواته إلى جدة في شهر أيلول / سبتمبر ١٨١٣ برفقة امدادات واسعة، فاستطاع أن يفرض النظام، ويوطد الواقع في الحجاز، واستطاع أن يخمد المقاومة الاهلية المسلحة، وشتري ذمم بعض رؤساء القبائل بأمواله، ونشط بعملياته جنوبى الحجاز وعسير، فقاتل الوهابيين بحملات عدّة. وفي ٢ كانون الثاني / يناير ١٨١٥، اي بعد اكثـر من سنة على تحرـكاته هنا وهناك، انـزلـتـ قـوـاتـ هـزـيمـةـ نـكـرـاءـ بـالـوـهـاـبـيـنـ الذـيـنـ كـانـ يـقـودـهـمـ الـامـيرـ فـيـصـلـ اـخـوـ عـبـدـ اللهـ قـرـبـ بـسـلـ شـرـقـيـ الطـائـفـ، وـاحـتـلـ الـمـصـرـيـوـنـ عـدـدـاـ مـنـ الـمـدـنـ مـنـهـاـ بـيـشـهـ. وـفيـ شـهـرـ آـيـارـ /ـ ماـيـسـ ١٨١٥ـ، غـادـرـ مـحـمـدـ عـلـيـ باـشـاـ شـبـهـ الـجـزـيـرـةـ الـعـرـبـيـةـ عـاـنـدـاـ إـلـىـ مـصـرـ دـوـنـ اـحـتـلـ الـيـمـنـ. وـقـدـ كـانـتـ عـمـلـيـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ فـيـ الـجـنـوـبـ نـاجـحـةـ، فـيـ حـينـ كـانـتـ قـوـاتـ طـوـسـوـنـ بـيـكـ فـيـ الشـمـالـ تـنـاضـلـ بـبـسـالـةـ خـسـدـ الـقـوـاتـ الـوـهـاـبـيـةـ الـتـيـ اـنـزـلـ بـهـ الـمـصـرـيـوـنـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـشـوـطـ هـزـائـمـ مـتـلـاحـقـةـ، فـاـذـخـلـ الـطـرـفـانـ إـلـىـ عـقـدـ مـعـاهـدـةـ صـلـحـ، إـذـ اـتـفـقـ عـلـىـ جـمـلـةـ بـنـوـدـ، مـنـهـاـ اـبـقاءـ نـجـدـ وـالـقـصـيمـ بـيـدـ الـوـهـاـبـيـيـنـ، وـتـرـكـ الـحـجازـ تـحـتـ الـهـيـمـنـةـ الـمـصـرـيـةـ. وـتـعـهـدـ الـامـيرـ الـوـهـاـبـيـ عـبـدـ اللهـ الـذـيـ تـرـأـسـ الـمـقاـمـةـ فـيـ الشـمـالـ بـتـبـعـيـتـهـ لـالـسـلـطـانـ الـعـثـمـانـيـ شـرـطـ أـنـ يـخـضـمـ لـلـوـالـيـ الـمـصـرـيـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ. وـتـكـفـلـ بـتـأـمـيـنـ سـلـامـةـ الـحـجـيجـ، وـاعـادـةـ الـأـمـوـالـ الـمـنـهـوـبـةـ مـنـ مـكـةـ، وـالتـخـلـيـ عـنـ الـأـفـكـارـ الـدـيـنـيـةـ الـجـديـدـةـ ..ـالـغـ.

انتهت المرحلة الاولى من الحرب بعد ان تركت حاميات مصرية في المدن الحجازية، فرحل طوسون بيك الى مصر.

٢ / الجزيرة العربية : المرحلة الثانية

استؤنفت الحرب في عام ١٨١٦، وذلك لعدم التزام عبد الله ببنود المعاهدة المهدية المفروضة على الوهابيين بالقوة، واستعدوا الخوض في حرب ضد المصريين، وامتحنوا سلطنة العثمانية و محمد علي باشا على باشا على المعاهدة المذكورة . إذ اعتبر ، الـامـيرـ عـبـدـ اللهـ لـمـ يـلـزـمـ بـهـ أـصـلـاـ ، فـاـسـتـؤـنـفـتـ الـحـربـ ، إـذـ أـرـسـلـ مـحـمـدـ عـلـيـ باـشـاـ جـيـشـاـ مـصـرـيـاـ بـرـفـقـةـ مـدـرـبـيـنـ عـسـكـرـيـوـنـ فـرـنـسـيـوـنـ، مـعـ وـحدـةـ عـسـكـرـيـةـ مـدـنـجـسـةـ بـالـلـغـامـ وـ الـمـقـجـرـاتـ، وـ قـادـ الـجـيـشـ الـمـصـرـيـ اـبـراهـيمـ باـشـاـ(ـالـبـنـ الـأـكـبـرـ)ـ اـمـمـدـ عـلـيـ باـشـاـ، وـ الـذـيـ قـرـرـ أـنـ يـسـحقـ الـحـرـكـةـ الـوـهـاـبـيـةـ، وـ بـقـضـيـ عـلـىـ كـيـانـهـاـ

السياسي في عُقر دارها. وبدأت تلك القوات تحاصر خلال سنتين، أهم المراكز التجارية في القصيم، ومارست اقسى العمليات بالحرق والاجتثاث والتخريب والابادة والاعتداء... وببدأ الناس يهربون نحو الواحات فقتلهم الجوع والعطش.

استولى المصريون عام ١٨١٧ على الرس وبريدة وعنيزة. وفي بدايات عام ١٨١٨ اخترقوا نجد، ثم اقتربوا من الدرعية عاصمة الوهابيين المحسنة، وبدأ حصارها في ٦ نيسان / ابريل ١٨١٨ على مدى خمسة أشهر، أي حتى يوم ١٥ ايلول / سبتمبر ١٨١٨م، فسقطت الدرعية، وتحولت إلى مجموعة انقضاض، وهرب السكان. واستسلم عبد الله الامير الوهابي، فأرسل إلى القاهرة، ومنها نحو اسطنبول حيث كان ينتظر مصيره، عندما قطع رأسه في شهر كانون الاول / ديسمبر ١٨١٨م. وبدأت القوات المصرية تخضع القطيف والبحرين، وأرسل قادة الوهابيين أسرى إلى مصر، واذيلت الدفاعات، وبدأت الاحتفالات المصرية بالنصر المؤزر.

وفي شهر كانون الاول / ديسمبر ١٨١٩م، رجع ابراهيم باشا مع قواته الخاصة إلى عاصمتها بعد أن وزع الحاميات المصرية في نجد والحجاز... ولكن بدأت حركة الانتفاضات الوهابية للفترة ١٨٢٠ - ١٨٤٠م، في حين غدا الحجاز اقلیماً مصرياً، وبات اشراف مكة ألعوبة بيد محمد علي باشا. وتعرضت سواحل اليمن أيضاً إلى الاحتلال المصري عام ١٨١٩م وبالاستقلال الذاتي، ولكن بقيت الادارة في القبضة الزيدية بصنعاء وجرد محمد علي باشا بعض الحملات نحو اليمن ١٨٢٣ - ١٨٢٦م، فضلاً عن حملة عام ١٨٣٤م.

اما نجد فقد تولاها ولادة مصريون لم يأبهوا بالامير مشاري بن مسعود، وكانت البلاد تعاني من كوارث وخراب وجوع، وتکابد من الاختلافات القبلية. واندلعت انتفاضة وهابية في الدرعية عام ١٨٢٠م، وانتفض الوهابيون عام ١٨٢١، وبدأت الحاميات تخلو من نجد عدا منطقتين هما: القصيم وشمر، ثم طردوهم عام ١٨٢٧م وفي عام ١٨٣٠ احتلوا الاحساء مجدداً. أما شريف مكة فقد قام بانتفاضة سنة ١٨٢٧م، إلا أنها منيت بالفشل. وبقي المصريون يحتفظون بالحجاز.. وقد شغلهما عن شؤون الجزيرة العربية امتداداتهم في اليونان والبلاد السورية.